

# الأبحاث

بقلم مطاع صفدي

\*\*\*

ان اكثر الابحاث التي كتبت حول المقاومة العربية ، والفلسطينية حاولت ان تتحاشى مواجهة المشكلات الحقيقية ، التي تثيرها فعالية المقاومة ، بالنسبة للفكر الذي ترفعه او تنفذى منه ، وللاساليب الممارسة التي تتبعها ، وللعلاقات اليومية التي ترتبط بها مع المنظمات والاحزاب والدول .

ولقد فضل الكتاب المنظرون للمقاومة ، بحث مشكلاتها من خلال اصطناع المشكلات النظرية التي يقرأونها في الكتب الثورية . هذا فضلا عن محاولات جذب المقاومة الى اطر وشعارات معينة ، لا تثيرها ممارسة المقاومة ، او على الاقل لا تحتاج الى مواجهتها بصورة فاصلة حاسمة ، ولقد سمى هؤلاء المنظرون الى تبرير الصورة الفكرية التي تطرحها منظمة ما ، او فئة حزبية ما ، نريد ان تحمل المقاومة شخصيتها الايدولوجية الخاصة .

ولذلك فان المقاومة ، كفعالية واقعية ، وكثورة متحركة فعلا ، بقيت مجهولة على صعيد الفكر الموضوعي ، غائبة عن ساحرة التحليل الذي يريد ان يكشف حقا عن طبيعتها ، وان يوضح السياق الفكري الثوري الجديد الذي تتحرك فيه ، دون ان تعيه تماما ، او دون ان تبرزه وتبلوره في شكل منظومة عقائدية متميزة .

ومحاضرة الدكتور عصمت سيف الدولة « المقاومة من وجهة نظر موقنة » ، تنطلق ولا ريب ، من هذا الشعور بوجود المقاومة فعلا وواقعا ، ومن غياب فكرها الخاص في الوقت نفسه ولذلك تأتي هذه المحاضرة كأول محاولة جديرة للاحاطة بالاسئلة المصيرية التي تثيرها المقاومة ، الى جانب السعي لاقتراح آفاق محددة للاجوبة على تلك الاسئلة .

ومن الملاحظ ان الدكتور عصمت يعي اصلا حركة التجاذب التي يتعرض لها فكر المقاومة من خلال بؤر التحيزات والاطر السياسية السابقة على وجود المقاومة ذاتها ، والتي تجتهد فيما تهم المقاومة وتتعلق على سمعتها الشعبية من ناحية اخرى ، وتلج عليها بفكرها الخاص ، حتى تجعلها تفقد هويتها الاساسية وتتاثر بالوحسي الخارجي ، ليصعبها هو صورتها عند ذاتها .

وهنا يبادر الدكتور عصمت ليضع المقاومة في موضعها الصحيح من حركة التقدم العربي ، فيجعلها اسلوبا جديدا للممارسة الثورية تتخذ السلاح اساسا للتغيير ، وطريقة مباشرة للرد على الغزو الصهيوني من جهة ، وبتعبئة الجماهير العربية وراءها من جهة اخرى ، لتحريك الدفع الوجدوي وبناء التنظيم الثوري الاشتراكي ، الذي يقيم بدوره دولة الوحدة ويعصف بالهياكل الاقليمية ، ويخوض المعركة التاريخية مع الصهيونية والامبريالية لأول مرة بقوى الامة الواحدة قومييا ومضمونا ثوريا تقدميا .

ولذلك فان الكاتب يجد ان ما يعيق هذه الاستراتيجية ، وما يضع في طريق نموها الطبيعي العقبات الذاتية ، من داخل القوى الثورية نفسها ، هو فخ الاقليمية الذي تتساقط فيه ايدولوجيات وتنظيمات وانظمة معينة ، وتحاول ان تسقط معها المقاومة ، وتحبسها في قواقع الاقليمية تحت تبريرات ثورية مختلفة .

ولكي يصل الكاتب الى دحض افخاخ الاقليمية ، فانه ينطلق اساسا من الموقفين اللذين استقطبا في الماضي الفكر الثوري العربي ما بين القطب القومي ، والقطب الاشتراكي . وهو يفترض ان التناقض كان واقعا بين هذين القطبين وما زال . وبالتالي فانه يلجأ الى تبديد هذا التناقض ، وخاصة بالنسبة الى ( بعض ) الاشتراكيين ، الذين يصنفهم الكاتب بانهم من ذوي الفكر الجامد . ولعله يريد ان يقول

ان هؤلاء الاشتراكيين ما زالوا يرفضون الاحتواء القومي العربي للثورة الاشتراكية التقدمية ، ويقدمون مقابل هذا الاحتواء ، الاطارات الاقليمية والقطرية . ويصور الكاتب الصراع الذي كان يحدث بين القوميون وبعض هؤلاء الاشتراكيين ، قبل الهزيمة . ويعتبر ان القوميون لم يقدموا فكرا الصياغة الكاملة لمعنى الاحتواء القومي للثورة التقدمية ، كما ان الاشتراكيين تجاهلوا دائما اهمية الامكانيات القومية للثورة التقدمية .

وجاءت الهزيمة لتضع حدا لنموذج المواجهة الاقليمية، ولتبرهن للمرة الثالثة ، ان معركة العرب مع الصهيونية ستظل تؤدي الى الهزائم ، ان لم تتخطم الاقليمية المواجهة العربية ، كدول وجيوش وانظمة واحزاب ، محصورة باهتمامات محلية ، ومستندة الى امكانيات ممزقة ضعيفة .

ويلخص الكاتب الموقف الحاضر بخمس نقاط هامة ، وهي ان الغزو الصهيوني يستهدف اقطارا عربية كاملة تمتد من النيل الى الفرات ، ولا تقف عند حدود فلسطين . وان التجزئة قد ساعدت الصهيونية دائما على التحرك في خط التوسع ، وفي غيبة تنظيم قومي يتصدى للمواجهة المصيرية مع العدو الغازي . وان الدول العربية المجزأة قد خسرت الحرب ثلاث مرات ، لانها دخلتها بمصلحة قطرية وذهنية قطرية كذلك ، دون ان تكون لها ارادة تحرير فلسطين فصلا وواقعا .

والنقطة الرابعة ان الغزو الصهيوني الاخير قد اكتسح مناطق واسعة من اقطار عربية ممتدة . فلم يعد بإمكان هذه الاقطار ان تقبل الهزيمة كما قبلتها على ارض فلسطين ، ولا المقاومة على ارضها ، كما قبلتها على ارض فلسطين . وبذلك اصبحت طرفا اساسيا في المعركة ، لا من اجل فلسطين ، بل من اجل اراضيها المحتلة كذلك .

والحقيقة الخامسة هي ان هزيمة حزيران قد دفعت بقوى الجماهير العربية الى المقاومة المسلحة ، فلم تعد المعركة اذن كما كانت سابقا بين اسرائيل والدول العربية فقط ، ولكن الطرف الثالث الان هي الجماهير التي تمثلها المقاومة .

باعتمادنا ان هذا التحديد للموقف ، يقدم اهم البراهين الواقعية على اساسية الاحتواء القومي للاستراتيجية الثورية . وان اكبر تناقض يرتكبه بعض الثوريين ، هو الالحاح على بناء هذه الاستراتيجية من افق اقليمي ، سواء كان على صعيد الشوار الفلسطينيين ، او صعيد بعض الاشتراكيين .

ولذلك عندما يتعرض الكاتب الى مناقشة الدعوة القائلة بان المقاومة هي تعبير فلسطيني عن خروج الشعب الفلسطيني من العزلة التي اوقفته سجينيا فيها الدول العربية طيلة عشرين عاما فانه يجد ان المعزول ليس الفلسطيني وحده ، ولكن العربي بصورة عامة . وان الحل الان ليس بتحرير الفلسطيني وعزل العربي . وليس باطلاق المقاومة وقطعها عن ينابيعها الثورية في ثورية الجماهير العربية وراءها ومعها .

وإذا كان ثمة من تليل احيانا بضرورة احياء المواطنة الفلسطينية ، لهدف التعبئة والتحرير المثالي ، والتجميع لشتات الشعب ، او لضرورة الدعاية للمقاومة في الاوساط الغربية ، وابرار وجهها الفلسطيني مجردا عن اطاره العربي الذي ما زال يشير بعض التفسيرات الشوفينية في اوساط يسارية غربية ، اذا كان الامر كذلك ، فان ابراز الثورة الفلسطينية من خلال اطار ثورة عربية جماهيرية جديدة ، سوف يخدم هذين الهدفين ، بافضل مما لو اخترعنا اسما لشعب ، كان دائما مصطلحا جغرافيا لا يقدم سمات خاصة او يعبر عن تكوين مستقل لشعب ، هوومروبتسنه التاريخية شيء واحد .

- التمهة على الصفحة - ٩٢ -

## القصائد

بقلم علي الجندي

\*\*\*

ان للشعر حرمة تجعل الدخول الى رحابه « نقديا » عملا مرهونا، تحاشيته منذ سنوات عديدة ، وافتحام عالم عشر قصائد لعشرة شعراء - في العدد الماضي من الآداب - عمل ما كنت لاقوم به لولا وعدي .  
وبيس هؤلاء الشعراء العشرة اثنان - على الأقل - غدت لهما هما ايضا حرمة من نوع خاص ، بالنسبة لغالبيية القراء .. ولهذا تبدو لي المهمة صعبة ومجرحة .. ومع ذلك ، لا بد مما ليس منه بد ..  
ان جو القصائد العام قائم - يبدو خائفا احيانا - سلبي ، مؤرق ، ورافض ، رافض للواقع كما هو ، وربما احيانا في بعض القصائد ، هو رافض حتى واقع متخيل، وان كانت قصائد اخرى تناضل من اجل عالم جديد .. ولو قام على الانقاض ..

تري ا وليس في كل اقطار وطننا العربي الكبير من النماعة ضوء ؟  
- الشعراء العشرة عن اكثر من قطر عربي .. على كل حال ، ما بهمني هو كيف عيس هؤلاء الشعراء عن رفضهم ، وربما عن قرفهم، وتشاؤمهم او - اذا صح التعبير - عن هروبهم او انهزامهم او رغبتهم في الانهزام والهروب ؟

وكملاحظة اولى ، انني لاول مرة افرا كل هذه « الكهية » من الشعر لمدة شعراء دفعة واحدة ، ولهذا فان انطبعا غير حسن، ولكنه مبشر بالخير في الوقت نفسه ، هو الذي فاجاني . ان الشعر الجديد الذي نؤمن به ، ما يزال قلما متناجج الخطوات ، ضامعا بين النفس الكلاسيكي ، والروح الجديد ، ان عليه جميعا طابع التجريب ، فحتى الرواد في الموجة الجديدة ما يزالون يحاولون تغيير اسلوبهم ، وتجاوز انفسهم فيما ابدعوه حتى الان ، يهلون حيننا للتراث واخرحضارة الغرب فيتأرجحون بين الاثنين - ربما كان خليل الحاوي هو الوحيد الذي يسلم من ذلك - انني لست ضد تجاوز النفس ولكن على ان يكون من خلال شخصية شعرية موحدة ، نبدع وتفسير ونظ لها وحدتها او هويتها الفنية في النقيض ربما كان الثبان الصغار سنا معذورين في ذلك اما بالنسبة لشعراء جيلنا فالفضية توحى بتساؤل جذري ، حول حقيقة ايمان الشاعر بما اعطى حتى اليوم ..

... على كل حال ، في اعتقادي ان هذا « الرفض » وهـــــه القنامة والروح السوداء ليست وليدة « النكسة » كما يحاول بعض الباحثين والنقاد تصوير المشكلة بنوع من التبسيط ، فعودة عابرة الى اعداد من « الآداب » بالذات قبل الخامس من حزيران ترينا ان الروح التي كانت تسود « اغلب » شعر الشباب في ذلك الحين لـم تكن كذلك اقل قتاما .. والتفسير بمرض العصر ، وقلق المرحلة التاريخية ليس السبب الحقيقي ايضا .. واسوأ من ذلك التفسير القائل بان المشكلة تقليد للشعر الغربي فقط و «مودة » الضياع والتفاسة وما الى ذلك ..

ربما كانت كل هذه الاسباب معا هي السبب ، وربما كان لكل شاعر ظروفه الخاصة ، التي يصعب البحث عنها في قصائد اكثر من شاعر في عدد واحد من مجلة شهرية .. واليؤس ، او الرفض، المفاجيء على بعض الشعراء بعد حزيران ايضا ليس زيفاً تاماً ولكنه نوع من الزيف .. انه موقف مقتول ..

ان الروح الحزيرية كانت تسرب من تحت ارض الفنانين العرب عموماً قبل الهزيمة .. انه الاحساس بالعجز ، بانكفاء الرغبة ، وكبح التحفز بالعجز .. ان نوعاً من الاحساس « بالعتة » وهو الذي ينقل تحت كل المظاهر في انساننا العربي .. ولنسم سبب ذلك ما شئنا .. وذلك في ظني هو الذي ما يزال مثل الكابوس يربض على نفوسنا ..

فلنبداً باولى قصائد العدد « قاع المدينة » لمحمود درويش ، شعر هذا الشاعر احدث منذ سنوات ، ليس في سياق شعرنا المعاصر فحسب ، ولكن في وجداننا الوطني ايضا ، زلزلة كادت ان تكون مفاجئة .. ذلك لانه شعر يدهك بدم التجربة المريرة التي يعيشها الشاعر يظفي هذا اليوم قسما وجهه .. يخني يديسه وشفته .. ويدهشمك بصورة المفاجئة ، الطازجة ، والساذجة احيانا .. انه شعر انيس ، أليف ، قريب الى القلب - ربما كانت بيئة ولادته المتفية سببا لذلك تحس ازاء كل قصيدة انك تعرفها من قبل ، انها قريبة منك ، كأنك احيانا أنت قائلها ، او الشاعر باحاسيسها علسى الاقل - ربما كان هذا اعجازه وخلل شعره في الوقت نفسه .

والشاعر - ربما لانه اطمان الى ( حيننا القاسمي ) له - غدا يحاول تجاوز نفسه ، التائر بأخر موجات التجديد عندنا ، لهذا فان قصائده الاخيرة في « حبيتي نهض من نومها » بشكسل خاص ، صارت اكثر غموضا ، وصار الملح من بعيد جدا يكاد يكون اسلوبه في تناول اطراف تجربته النرابية القاسية .. اننا في قصيدته هذه لا نكساده نميز بين المباشرة واللامباشرة ، فعنى الموت يكاد يصبح رمزا ، والذات والاخر يتناوبان محل بعضهما .. فقاع المدينة ، هل هو قاع الذات ام فساع القضية - الماساة ؟ ولكن القصيدة تظل مع ذلك نفما درويشيا - صارت الصفة ممكنة بعد الشهرة الصاعقة للشاعر - يدخل الى النفس هادئا او شرسا ، مطمئا الى ان ابوابها المفلقة تنفتح من ذاتها امامه ... ، وصورة المفاجئة البالفة السهولة والصعوبة معا هي صورته التسي جعلت منه اكثر الاصوات جرحا في سمفونية قصيدتنا الجارحة : ام لعلي اسرفت انا الآخر في - حبي الجارح - تلشاعر فلم اعرض للمساوي؟

اما القصيدة الثانية فهي لعبد الوهاب البياتي ، وهي ايضا عن المدينة ( مرثية الى المدينة التي لم تولد بعد ) والبياتي اصبح ذا تراث ضخم ، ولهذا فان الكتابة عن قصيدة واحدة له عمل مخرج ، وربما صعب ... ، انه شاعر مدينة اذا ما فورن بمعاصره السياب ... ولكنه بين الشعراء ، الشنم الاول للمدينة .. ، حتى ليكاد في بعض قصائده عنها وهي احيانا رمز ، واحيانا اخرى واقع ، يشعرنا بالفور منها ، بل بالنتقز ما يعرضه عنها من صور ، والالفاظ التي لو لم تكن من شعر عبد الوهاب كانت تبدو نابية ، لا بد من الذباب ، والقمامة ، وحتى اللوطي والشرطي والقواد وما الى ذلك ، انه مفرم بنقل قرفه السى الآخرين من خلال الفاظ تجرح الحس .. كأنها نصال تهددك وتدفعك الى الهرب الى جو اكثر نقاء .. وقصيدته هذه مليئة بالفاظ نعيصة : الغربة ، التجواب ، الموت ، منفي الفقر ، عالمها السفلي ، الاسمال ، خرق المهرج ... كل ذلك والقصيدة تمتد على اقل من صفحة .. انه ناغم على مدينته ، ربما مدينته ، رافض لها في سبيل اخرى تشبهها ولكن بعد ان وجدت خلاصها وتزيت بالشباب من جديد ..

البياتي في المرحلة الاولى من شعره ، الممتدة منذ ثلاث او اربع سنوات حتى اليوم - يحاول عبثا تجاوز البياتي السابق شكليا بشكسل خاص حتى ليكاد يقع تحت تأثير شعراء آخرين احيانا ، مع انه من الافضل له لو انه - اذا كان قد كان واقفا مما ابدع خلال عشرين سنة - يحاول الابداع في المضمون - كما يفعل فعلا - فيتابع سبيله التسيوي بشيرا ونذيرا بمدينة فاضلة ... والا فما هو مبرر تكرار فكرة قديمة باساليب جديدة وفي ( الذي يأتي ولا يأتي ) مثلا ما يقني عنها ؟؟

والقصيدة الثالثة هي ( محاورات مع اليا العالي ) لعز الدين المناصرة . ومن اولى قصائد هذا الشاعر التي قرأتها - احسنت بشأن شعره يسرب الى النفس انسابا ، مثلما ينساب جدول ربيعي بين اعشاب غضة ، فيه بساطة اخاذة وراءها معاناة حادة تحز الانسان دون ان تجرحه ، وهو يبدو طوحا لا يرضى عن المستوى الذي يصل اليه ، وفي ذلك خير وخطر ، فطابع التجريب اذ اصبح عسادة شعرية يفقد الشاعر طابعه يظهر بهظهر غير الناضج ، وان كسان يعطيه خاصية

يدو ان البحث عن مقدمات نظرية لعملية تقييم ما .. عادة سيئة دائما . فهو اما ان يكون تبريرا لجريمة قتل معنوي ، او سوبالطفوس تويج نقدي ، او فرارا من تقديم كشف نقبي ، او عملية بطورة لمدخل نظري لمشروع استعراض تطبيقي لنظرية الادب ، او محاولة لشغل سيالة الاكتشاف البدائي لدى القارئ ، ومن ثم دفعها في قننوات جديدة ، او سعيا للثور على محطة يمكن الانطلاق من ارضيتها لتحميل العمل الادبي بمعان وآفاق مختلفة قد لا تمت اليه بصلصة ضعيفة او وثقى ...

غير ان عبث هذه المقدمات - بالنسبة لنقد القصة القصيرة بوجه خاص - يتأكد مرة اخرى على ضوء الحقيقة القائلة ان القصة القصيرة التي استهلكت معظم الاساليب وانماط التعبير التي يمكن ان يحققها الوعي واللاوعي ، وتجاوزت مرحلة المد والجزر ، والدفع والجذب ، على سطح الخارطة الاجتماعية والتعبيرية للادب العالمي ، بحيث اعطت اشارة المرور الخضراء لالف مدرسة ومدرسة في تقديم الواقع ، واستيعابه ، واحتوائه ، وتاويله ، والتمرد عليه او الاستسلام له ولا يطرحه من اشكالات ، قد اصبح فنا كهلا . وبالتالي فهي تتيح للناقد قدر ما تتيح للقاص ، استخدام منظور واسع للرؤية ، دون ان تدخل محاولة كل منهما في اطار تجريبي .

اذن فالمهم ان نطرح ملامح اساس ضابط الرؤية ، للقصاص التي سنتناولها بالنقد ، فما هو هذا الاساس النقدي الضابط الذي نبحت عنه ؟ .. ان هذا الاساس سيكون مرتبطا بالضرورة بالمرحلة العصبية التي نمر بها الامة العربية في الوقت الراهن . ولذلك فهو اساس تاريخي يستمد قيمته من شحنة الوعي التي يمكن ان يكهرب القارئ بها ، وان يزيد من قدرته على استيعاب الازمة ، واحتواء الواقع ، وادراك ابعاد المأساة - الملهاة ، لقد قال الناقد الشهير (ريتشاردن) مرة ان الادب كهرباء .

وهذا التعريف يمكن ان ينطبق على القصة القصيرة قدر انطباقه على الشعر ، ذلك ان الهدف الاساسي ، واكاد اقول النهائي للفن ، هو القيام بدور الصدمة الكهربائية للقارئ ، والاخلال بتوازنه ، والايحاء له بان السكون في الاحداث ليس سكونا في الواقع اليومي ، وانما هو سكون في وعيه وقدرته على الاستقبال .

وعلى ذلك فان العلاقة بين الادب والمجتمع تصبح شديدة الحدة والحساسية . وبالتالي يمكن القول ان الادب « مؤسسة اجتماعية ، وان الابتكارات الادبية اجتماعية بطبيعتها .. وحتى الرمزية لا يمكن ان تظهر الا في مجتمع فقط .. » (١) .

وانطلاقا من هذا المنظور الذي يؤكد على دور الشكل الاساسي في افعال المعنى ، يمكن تناول المحاولات القصصية الخمس التي ظهرت في عدد كانون الثاني من « الادب » . فهي تنقسم الى فئتين : الفئة الاولى تنتمي اليها قصة « النموذج » لنواف ابو الهيجاء ، و« الحكاية » لنيروز مالك ، و« رجل على الاكتاف » لسدالرحمن الربيعي . وهي تستفيد الى ابعد مدى من امكانيات الهندسة ، الا انها تنطلق من الهندسة لتصل الى الموضوع . واما قصص : « قطعة سلاح يا رب » لآكرم شريم و« الزنبقة في ظل السقوط » للطيفه الدليمي فهما اقل طموحا واشد التصاقا بالمفهوم التقليدي للقصة القصيرة ( وان كانتا لا تحققانه ) .

وتحقق قصص الفئة الاولى - بدرجات متفاوتة - البدئية النسبي اصبحت تتوج هذا الفن الكهل - القصة القصيرة - وهي انها تعتمد في جوهرها على الطريق الذي تسلكه . وبعبارة اخرى فان طريقة القصاص اصبحت هي القصة نفسها . ليس المهم في قصة « حذاء ابي القاسم الطنبوري » - احدى قصص الف ليلة وليلة - القول بانها تدور حول فكرة بالذات ، وانما المهم ان طريقة ترتيب قطع الموزاييك التي يتألف منها نسج القصة قد بلغت حدا من الاتقان والاحساس بالهدف جعلها قادرة على الاستحواذ على القارئ واقتحام مدار عزله دفعة واحدة . لقد اهترت الافكار فعلا .. الا ان طريقة القصاص هي التي تسبغ عليها غلالة التأثير . وعلى هذا فان السؤال : « الى اي مدى استطاعت قصص العدد الماضي من الآداب ان تكهرب احساس القارئ ، وان تثير ما لديه من شجحات في الوعي ؟ » لا يتصل بكون معظمها يدور حول موضوع فلسطين مباشرة ، قدر ما يتصل بالعمارة والهندسة والتكنيك . ان دراسة موضوعية وجادة عن « فلسطين » قيمية بان تحدث الاثر المطلوب . ولكن هذا لا يلغي دور القصص وانما يؤكد ان تحقيقه اشد تعقيدا بكثير ، وان « الشكل » هو الذي يميز القصة عن سواها .

قصة « النموذج » لنواف ابو الهيجاء تقدم مسحا تسجيليا للقضية الفلسطينية . فمن خلال طرح منظر عرضاني لحيات « الفلسطيني » منذ الميلاد حتى الالتحاق بالثورة المسلحة ، يحاول الكاتب ان يرسم ملامح نموذج للانسان العربي الفلسطيني اليوم . ولكي يحقق هذا الطموح ، فهو يلجأ الى شكل يصفه ب « القصة - اللوحة » .. فتحة جميع المراحل التي تمر بها عملية انجاز اللوحة الفنية : « التكوين » و « الحظوظ » و« الصورة » و« الالوان » ثم « ضربات الريشة النهائية » .

في « التكوين » يجد نفسه في عالم من الرعب « وسط غابة من الشجيرات والاشواك .. وياكل من التراب حتى الشبع » . وفي « الخطوط » يدو الفلسطيني جانبا يتسلل الى « البرك القريبة التي خلقتها الامطار لسرق الملح » . وفي « الصورة » تعصف الرياح وتتصاعد الصرخات في « سوناتا » من الابهال . وفي « الالوان » تتردد الالهمني دون انقطاع : - ان شاء الله يا رب .. ان شاء الله .. واخيرا تتوج اللوحة « بضربات الريشة النهائية » فيصبح الفلسطيني فدائيا مقاتلا و « يمتلئ نهيدا أمه الضامران بالحليب » .

اذن فالقصة تروي تفاصيل معروفة من خلال لقطات واياءات وصور ، وبالتالي فهي تنطلق من الفكرة القائلة بان القصة هي طريقة في القصاص . الا ان القصة تقع في احبولة التصميم الهندسي الجاهز الذي لا ينبع من التطور الطبيعي للقصة وانما يعتمد على خلاصات جاهزة . وهذا طبيعي جدا . فالكاتب يقدم نموذجا جاهزا بادوات جاهزة . ولذلك فنحن لا نحس بتأثير القصة الا من خلال مباركتنا الاخلاقية المسبقة .. ولا نتعاطف مع الشخصية الرئيسية التعاطف الانساني المطلوب الذي يمكن من خلاله نسج شرنقة واحدة على محور واحد ، قدر ما نتعرف مجددا على فكرة لسنا بحاجة الى التعرف بها مرة اخرى . ولعل الكاتب قد شعر - بعد ان قدم تصميمات هندسية مسبقة - بحاجة القصة الى تعظيم المدار المطلق الذي تدور فيه منذ البداية ، فاختمتها باستعارة ذكية جدا تتمثل في عملية الرضاع التي « اقتبسها » عن الروائي الاميركي « جون شتاينبك » في روايته « عناقيد الغضب » .

ومهما يكن من امر فان قصة « النموذج » تشكل مرحلة متقدمة جدا على المحاولات والتجارب السابقة لنواف . والمهم الان ان تسبق حيويته في العثور على تصاميم هندسية جاهزة ، قدرة ماثلة على التقاط

## تمة - الأبحاث

\*\*\*

ان العربي الفلسطيني الذي يبحث عن أرضه الان ويقاوم من اجل استعادتها ، لم يكن في الواقع معزولا عن مختلف معارك الثورة العربية داخل الاقطار التي انتقل اليها منذ النكبة الاولى . فالطالع الفلسطينية شاركت في مختلف مراحل النضال الثوري وقدمت وضحت ، وهي تسمى ان معارك الاقطار العربية التي وجدت فيها ، خلال مراحل النضال الوجودي الاشتراكي ، انما هي مقدمات ضرورية لاقامة الدولة العربية الوجودية التقدمية الكبرى ، القادرة على استرجاع فلسطين ، ومقاومة الامبريالية في كل جزء اخر من ارض الوطن العربي . ان الدكتور عصمت يسأل اصحاب النزعة الفلسطينية من المناومين « لماذا لا تقاومون من اجل ما هو اسمى واشمل ، وتحكمون القومية بما جنت ايدي الاقليمية ؟ » والحقيقة ان هذا السؤال يحدد جوهر المسألة كلها ، فاذا كانت هزائم مرحلة الصراع السابق مع الصهيونية قد تحققت من خلال الصيغة الاقليمية لوجود الدول والمنظمات والجيوش ، فهل يحق لاطلاع المقاومة ان يبدأوا الان من الموقع الخطأ ذاته ، وهو تبني الاقليمية لمحاربة الاقليمية ، او لتجاوز الصيغة الاقليمية السابقة للصراع مع اسرائيل ، فيزبنوا بذلك الكم الاقليمي عددا جديدا ! .

وهنا اسأل الاخ عصمت ، هل هو واثق حقا من ان المقاومة الفلسطينية يمكن ان تكون في وعي قادتها ، وفي ممارستها ، وفي استراتيجيتها ، فلسطينية اقليمية حقا ؟ انني اشك في هذا . فان اكبر حركة للمقاومة وهي فتح ، وهي التي يناقشها الاخ عصمت هنا ، لا يبدو انها ترسم ايدولوجية في هذا المنحى الاقليمي . وهي ما زالت في مرحلة التنبؤ المسلحة للمواطنين الفلسطينيين . انها تتبع تكتيكا ، تبدو له ملامح الثورة الوطنية المسلحة ، ولا تضع استراتيجية على اساس بلورة كيان تاريخي خاص لشعب تترك انه جزء من ارومة القومية العربية ، في بورتها المتفجرة الاساسية من بلاد الشام ، بمصطلحها التاريخي العريق .

ولعل هذا النقاش يصح اكثر عندما يوجه الى بعض المنظمات الاخرى ، التي تبني منطلقات لبعض الاشتراكيين الاصطلاحيين القدماء الذين وصفهم الاخ عصمت بانهم من ذوي الفكر الجامد . فهؤلاء يرسمون صورة لآل المقاومة الفلسطينية ، وهي قيام « دولة فلسطين الديمقراطية » الشعبية الخ . .

انني اود ان اضيف نقطة الى جانب النقاط الكثيرة الغنية التي اوردها الكاتب ، في محاوره هذا الموقف . فان اصحاب نظرية فلسطين الديمقراطية ، يبدو انهم حينما يطلبون تأييد القوى الثورية العربية ، فانهم لا يميزون بينها وبين تأييد القوى اليسارية في الغرب . ولذلك يمكنهم ان يردوا على الداعين لقومية المقاومة ان يستثمروا هذه النقطة ، ويقولون ان تأييد القوى الثورية العربية لا يلزم المقاومة بالارتباط القومي . وقد يصح هذا القول الان على المرحلة الحاضرة . ولكن ، كما يشير الكاتب ، ما هو الموقف عندما ينتهي التحالف عند حدود ازالة آثار العدوان ، وتنطلق مرحلة تحرير فلسطين ؟ افلا تصبح المقاومة عند ذلك احوج ما تكون الى قيام قاعدة شاملة من العمل الوجودي العربي الثوري ، تلتحم به عضويا وتستقطب منه جملة قواه ، لراس حربتها المهاجمة في قلب الوطن السليبي ؟

وبعد فان محاضرة الدكتور عصمت سيف الدولة ، قد طرحت في الواقع مخططا يتصف بالشمول والدقة في ذات الوقت ، لمحاولة التقييم الثوري للمقاومة . وهو اول بادرة جديدة في هذا الموضوع الخطير ، الذي يملأ ساحة العمل الثوري اليومي ، اول بادرة مستقلة عن الدعاية والتجميد من ناحية ، ومجردة من ناحية اخرى عن محاولات الهضم والابتلاع الايدولوجي ، من مراكز العمل

السياسي الرسمي والحزبي والفئوي .

وهذا المخطط يصلح للدراسة التفصيلية ، ولتوسيع غني ، يتطلب جهود الاخ عصمت بموقفه المستقل ، ورؤياه الموضوعية ، وصوته القومي التقدمي العالي ، الى جانب جهود اخرى من قبل كتاب يلتقون معه في موقفه الاساسي .

ولا بد من الاشارة الى ان الاجوبة الرائعة التي اكمل بها المحاضر عرض جوانب كثيرة من موضوعه بناء على أسئلة الشباب الذين استمعوا الى المحاضرة ، هذه الاجوبة احسن الكاتب بنشرها ، اذ زادت الموضوع غنى ووضوحا . كما انها تصلح هي ذاتها منطلقات لموضوعات موسعة اخرى . ومن المهم ان ننتبه الى ان الدكتور عصمت استطاع ان يوفق تماما بين نزعته القومية والتحليل العلمي المبني على ايمان حقيقي بالاشتراكية ، خارج الاطر النظرية الجامدة . كما انه تمكن في الانطلاق من واقع التجربة العربية المتمثلة اولا في نزعتها نحو الوحدة والائتلاف الحضاري ، ليصل الى عمق التحويل الاجتماعي واعتبر ان الاحتواء الوجودي الاي تفييسر جذري في بنية المجتمع العربي ، هو الشرط التاريخي الاول لبناء تجربة تقدمية سليمة .

ان قيمة العرض الذي اتى به الدكتور عصمت تتضاعف كذلك ، من حيث انه يكاد يكون الصوت الوحيد اليوم الذي يعلو مجددا ، وسط صخب اليساريات الاقليمية ، ليعيد الوعي الثوري الى موقفه الطبيعي ، وهو صوت يساري عربي حقيقي ، لا تأخذ به بوارق الادلجات اللفظية ، ولا تجرفه امواج التسطيع اليساري الطوفاني .

فما لم يعترف به الوعي الثوري لما بعد الهزيمة ، هو ان الرد التاريخي الوحيد المؤهل لتفسير واقع الهزيمة ، هو تفسير اسبابه المتمثلة في التجزئة ، والمعالجة الاقليمية لمشكلات المصير العربي سياسيا وعسكريا واقتصاديا .

وعلى الرغم من بدها هذه الموضوع ، وعلى الرغم من انها تملأ حس الجماهير ، وتكاد تكون على كل لسان ، فان الطبقة الثورية المحترفة ، ما زالت تتجاهلها ، وتغطي تجاهلها بمختلف الموضوعات اليسارية الاخرى . والخطر الذي تواجهه المقاومة ولا شك ، هو بناء استراتيجية ، تتجاهل هي كذلك ، الطبقة الوجودية لاية ثورية اصيلة .

ولعل المقاومة هي افضل تعبير وبرهان عن هذه الطبيعة الوجودية ، لثورتها . فاذا كان الشعب الفلسطيني يؤلف كتيبة الطبيعة المقاتلة في مسيرة المقاومة ، فان القوى الثورية الاخرى هي الكتلان الرديفة لهذه الطلائع .

وما لم تنقلب المقاومة الى حركة تنوير للثورة العربية ، تمهد لبناء التنظيم الموحد ، فانها ستبقى حركة جزئية ، ستشكو من الحصار والانزاع قريبا ، اذ تصبح هدفا سهلا لاشكال الاقليميات التي تحيط بها من كل جانب ، وتتجاذب اطرافها ، بل وتتغفل فيها ، لتجعلها قابلة للانكفاء على ذاتها ، فتسهل تصفيتها في الوقت المناسب .

ومن المؤسف حقا ، كما اشار الكاتب ، الى ان بعض الاشتراكيين الماركسيين ، بالرغم من سلسلة النكسات الهائلة التي لحقت بالثورة العربية ، قومييا واشتراكيا ، ما زالوا لا يعرفون سبيلا الى رفع الالوية الماركسية الا من خلال القواقع الاقليمية والاطر الانفصالية ، وما زالت فكرة الوحدة لديهم تشكل هاجسا سليبا ، ينفرون منه ، ويتجاهلون تحليله ، ويزوغون من مواجهته في جو من النور والمصارحة مع النفس اولا .

في حين ان الموقف العلمي قد انتهى هذا المصطنع منذ زمان ، فخرج معظم القومييين من غيباتهم وطقوسهم الاحتفالية للمفاهيم المنصرفة ، وخرج معظم الماركسيين بالمقابل ، من حرفية المصطلحات ، وادركوا اهمية الاحتواء القومي لاي تغيير اجتماعي تقدمي .

« الوظيفة » الثورية لشعر المقاومة بصورة عامة . ولقد اقمنا باهمية هذه الوظيفة لكل شعر مقاوم ، ولكنه لم يبين لنا كيف كان شعر المقاومة الفلسطينية مؤديا لوظيفته الثورية .

والمقال الثاني هو دراسة نقدية لمرحبة ( السلطان الحائر ) لتوفيق الحكيم ، كتبها الشاعرة المبدعة ( نازك الملائكة ) . والشاعرة قد خاضت مجالات الدراسات النقدية منذ القديم ، وكانت لها جولات موفقة خاصة في عرضها وتقييمها لمشكلة الشعر الحديث ، وكان ما زال في بداية تكونه . والدراسة الحاضرة تكشف عن قدرة تحليلية تفيد من ثقافة جيدة حول الاعمال المسرحية ومذاهبها . ولقد اعطت الكاتبة صورة مفصلة عن ادوار الاشخاص وعقد المسرحية ، وحركتها الدرامية ، وان تحاشت الخوض الصريح في معاني هذه المسرحية التي كتبت اصلا لتخدم غرضا رمزيا يفرض نفسه على القارئ او المشاهد منذ الاسطر الاولى . ولكن السيدة نازك قد اسهمت في اشارة شخصيات المسرحية كما تبدو من خلال فعلها المسرحي . وكشفت عن دقائق رائعة من هذا العمل الفني . وتناولت بالتحليل كل شخصية على حدة . وهذا ما جعلها تغفل نمو العلاقات الدرامية احيانا من خلال تفاعل الشخصيات . وقد اکتفت الناقدة بنمطية مدرسية في تحليل الادوار ، في حين ان المسرحية قابلة حقا لتجاوز الاسلوب النمطي ، والدخول احيانا في مجالات المسرح التجريبي . اذ ان القاضي لا يبقى ذاته ، وكذلك الفانية ، وكذلك السلطان ، بل ان هؤلاء البشر ينبتقون من مواقف متضاربة ، ومتناقضة . ولقد حاولت الكاتبة ان ( تفسر ) هذا التناقض بأسلوب تفصيلي ، في حين ان الافعال الدرامية ، كان ينبغي ان تفسر بواقفها الدرامي ذاته ، بدلا من ادخال المعقولية على سياق الحدث الفني .

ومع ذلك فان السيدة نازك كانت واعية لمنهجها الاقرب الى النزعة المدرسية ، ولربما كانت لها قناعتها الخاصة بهذه النزعة . وهي قد طبقت منهجها بدقة وبراعة ، واعطتنا دراسة متوازنة تصح مدخلا لمناقشة هذه المسرحية ، ومحاولة فهمها وتقييمها من وجهات نظر اخرى .

مطاع صفدي

مكتبة انطوان

فرع شارع المير بشير

## الحرب العالمية الثانية

في مجلدين

مع جميع الكتب العربية

والان ، وقد فرضت علينا جميعا حقيقة المقاومة ، كواقع ثوري جديد ، وضع حدا لاشكال الممارسة الثورية السابقة ، فما احرانا ان نضع حدا كذلك لواقفنا النظرية السابقة . وهي مواقف كانت تتفلسف كلها حول ثورية ملتبسة ، لا تملأ الواقع الفعلي ، كما تملأه المقاومة الان .

لقد اوضح الكاتب من خلال أجوبته المركزة ، الكثير من نقاط سوء الفهم التي يتبادلها احيانا الفريقان المتحاوران حول : هل الثورة العربية ، وثورة المقاومة ، انفع لها ان تكون اقلية ثم تصبح قومية ، او بالعكس !

والسؤال مغلووط من اساسه ، كما يبين الاخ عصمت ، اذ انه يفترض امكان قيام ثورة حقيقية داخل الاقليم . في حين سيكون مصير مثل هذه الثورة التعثر والاجهاض والتزييف ، ان لم يكن لها افق وحدوي على الاقل تتحرك نحوه . فلا يمكن القبول اذن باسقية شكل على اخر ، اذ كل ثورة هي قومية تقدمية من حيث انها تطلب تغييرا جذريا في أسس حياة شعبيها ، ولا يمكن لهذا التغيير الا ان يصاب بامراض النماذج الاقليمية المعروفة ، ان لم ينتجه الى الانفتاح الوحدوي الحقيقي .

اذن ليس ثمة تناقض فعلي بين الثورة الوحدوية ، والثورة الاشتراكية ، من خلال تجربة الثورة العربية على الاقل . ذلك ان التحويل الاشتراكي يتطلب مجتمعا متملكا اولا من مصيره الاستقلالي ، ومن امكانياته الشعبية والمادية ، ضمن اوسع نطاق ، وهذا لا يمكن ان يتوفر في ظل الدويلات شبه المستقلة ، والتي تواجه خطر الامحاق من عدو واع ، يتمثل في الصهيونية على حدوده القلقة المهتدة ، وعلى اجزاء من ارضه ، ويتمثل في الامبريالية التي تجرف استقلاله بمختلف صور المساومات والاجهاضات ، والمضاعفات المصطنعة .

وتأتي المقاومة لتضع المصير العربي كله موضع المواجهة الشاملة ، فهي ملزمة له الان من حيث انه مطالب بتقديم اعلى امكانياته ، وملزمة له من حيث النتيجة ، فان فشلها سينزل محنة رهيبه به ، كما ان انتصارها سيفتح له طريق تحقيق اهدافه الوحدوية التقدمية .

فلا يمكن ان تدعى المقاومة فلسطينية الا اصطلاحا لا يميزها الا من حيث الشكل ، وان تجربة الصراعات الخلفية التي تخوضها في خطوطها الخلفية ، قد وحدت بينها وبين الثورة العربية الجماهيرية ، التي تتحرك الان في محاوره المقاومة داخل الاقليم ، وسوف تتحرك اوسع واشمل ، لتحقيق المنعطف التاريخي المنتظر لاستقبال الثورة العربية ككل .

واخيرا امنية للدكتور عصمت ان يوسع هذه المحاضرة ، وان يقدمها في كتاب مستقل . ذلك انها صوت مفقود ومطلوب فسي معركة المقاومة الفكرية .

\*\*\*

في العدد الماضي بحثان ادبيان ، كان يمكن للناقد ان يتعرض لهما بشيء من التفصيل ، لولا ان مناقشة البحث الفكري الهام للدكتور سيف الدولة ، قد طفت حجما ، وليس كيفا . اذ ان لهذين الباحثين قيمتهما الخاصة كذلك . فمعذرة من الكاتبين لعدم استيفائهما حقهما من المناقشة .

واكتفي ببعض النظرات العامة حول المقالين . وابدأ بمقال الاخ محمد الجزائري ، الذي يعرض دفاعا ممتازا عن اصالة شعر المقاومة ، ويرد على بعض نظرات غالي شكري ، التي تعتبر شعر المقاومة من النوع المعارض والنوع الاحتجاجي ، ولا تريد ان تنوغل بقيم التلاحم الثوري لشعر المقاومة مع فعالية المقاومة . والاخ الجزائري يدافع بحرارة عن اصالة هذا الشعر ، ويحشد لذلك اطارا ثقافيا ماركسيا لتحديد وظيفة هذا الشعر . ولكنه بذلك تحاشى دراسة عوامل القسوة في فنية هذا الشعر وفي محتواه الداخلي . وبقي يدور حول اهمية

## – تنمة – القصائد

\*\*\*

للوافع ... وليس خافيا ان شبح صلاح عبيد الصبور يحوم بين  
الكلمات ..

اما قصيدة الياس لحدود لعام ١٩٧٠ عن الحب والشعر والكفاح ،  
فما رأيت منها شيئا عن الكفاح – وهو ليس ضروريا تماما دائما على  
كل حال – واخشى ان يتهمني الشاعر بعدم الفهم ، او عدم ادراك ما  
بين السطور ، وربما ما بين الاحرف ، ومهما يكن ، فان القصيدة ولا  
بد من شعر الشباب الطالع المباركة خطواته الثائرة ، انها مزيج لطيف  
من خليل الحاوي وادونيس والسياب ... رحم الله السياب ..  
وقبل هذه هنالك قصيدة لنصار محمد عبد الله من ديوان  
« الهجرة من الجهات الاربع » الذي ارجو له الزواج ، وهي قصيدة  
رشيقة تشبه الوند ينفرز في قاع النفس فيها براعة شعرية وارتباط  
عضوي ، ولكنها تمثل زوغان النظر في رؤيا ساذجة ...

وبعد ذلك تأتي قصيدة شاعر معروف ايضا هو سعد دعيبس ،  
عنوانها « يوميات مدرس غاضب » وهي من قصيدة المواقف الايديولوجية  
اذا جازت التسمية – فيها تصوير كامل ليست لمدرس غاضب وانما  
لانسان مهوور يفضب ... ولكنها ذكرتني قسرا بـ « كلمات سيارناكوس  
الاخيرة » لامل دنقل ، مع معرفتي ان الشاعر اقدم سنا وارسخ بنيانا ،  
واطول باعا في دنيا الشعر من امل ... بل ان « البكاء بين يدي زرقاء  
اليمامة » تظل ايضا – رمز عنترة في بني عيس – عند الدنقلي في  
قوله :

قلت : ان عنترة  
كما رأى صمت العبيد يقتل العبيد  
وان اغلال العبيد لم تجيء من خارج الحنود ...  
القي بلا ... في وجه سيده  
وصاح : لن اخوض الحرب والاغلال في يدي  
فليس اعدائي هناك اقسى من بني عيس هنا  
هناك او هنا  
مضمون قيده واحد  
تعددت اشكاله ... والموت واحد  
وأعلن المواجهة ...

ويختتم القصيدة الطويلة ( بالتنظيم ) على نفس الوتر الذي نغم  
عليه كثيرون من شعراء « الحزيرية » الانظمة قاسية ، لا حرية ، اكل  
عيون على الكل ... والدنيا سواد ... يبدو انها غدت لذة عند  
شعرائنا هذه السلبية التي لها طعم حيننا وليس لها طعم احيانا ... ترى  
ماذا يريدون .. ماذا يريد الدنقليون الطيبون ??

على كل حال – لولا توارد خواطري الخبيث – لكانت هذه القصيدة  
من افضل قصائد العدد .. واما ( الاحداق المهاجرة ) لحبيب صادق  
فانها تمثل اكثر شعره ، هذا الشعر المنطلق من نفس طيبة تحب  
اليسطاء والمضطهدين ، وتكرس موهبتها للدفاع عنهم ولو بعرض  
مآسيهم ، وهي شعريا محاولة حسنة لنحطي النفس ، الا انني لست  
ادري لماذا – ربما – « لثورية » الشاعر وغضبه « لاهله المنشورين على  
حبل النفي والموت في فرى الجنوب الامامية » احسست بان الالفاظ في  
الصفحة البيضاء شبيهة بنوع من الحشرات المتخسبة ، حتى لتكاد  
الحروف تشب اشواكها في اذن او عيين القارئ .. الا ان المضمون  
طيب والبساطة في الاداء قد تكون احيانا افضل من الفموض حتى في  
الشعر الجديد .

اما القصيدة الاخيرة – لقد الهمني الله الصبر – فهي ذات عنوان  
ظريف « هجائية من مهرج الى اغبياء » لحמיד سعيد من العراق ..  
واحسب ان الشاعر واحد من تلك المجموعة الحلوة من الشعراء الشباب  
الناشرين على السموات والارض – بنوع مسن « الهيبية » الشعرية ،  
يصرخون في ابواق مكبرة ، بزعيق يلقى حتى راحة اوتى ليقولوا  
ها نحن اولاء ...

تجاوز النفس الخيرة وشفيمه انه ما يزال في مستقبل الشعر .  
الملاحظة الاولى على القصيدة تكاد تنسحب على غالبية شعراء  
الموجة الجديدة الشباب في الوطن العربي ، وفي العربية المتحدة بشكل  
خاص انهم هنا غاضبون ، ولكنهم ليسوا سلبيين بشكل مطلق ، لقد  
كدت اصفق للشاعر في سبيله لولا انه انتهى في كلمات القصيدة الاخيرة  
الى الدعوة للرحيل وربما الهرب ، هذا الجيل الاتي بعدنا اكثر منا  
نزقا ، ولا اقول حماقة في رؤياه الوطنية ... وملاحظة قد تبدو جانبية،  
لاحظتها على اكثر من كاتب من القطر المصري ، ربما كان سببها احد  
اخطاء كتابة تاريخنا في بداية عصر النهضة المفوم فسي اكثر من قطر  
عربي ، ان هؤلاء الشعراء يذكرون الهكسوس على انهم غزاة واجانب وربما  
مستعمرون في تاريخ مصر ... مع ان هؤلاء الهكسوس ، هم موجة  
عربية نزلت الى وادي النيل واعطته لاول مرة بوضوح طابعه العربي قبل  
الاسلام بمئات السنين .. فلماذا يتحدث عنهم اخواننا عرب مصر وكأنهم  
غزاة اجانب جاءوا من البانيا ??

على كل حال في ( محاورات ) المناصرة جمالية تشف عن موقف  
سياسي فكري ، متشائم – كما وصفت الجو العام لقصائد العدد – هذا  
الموقف يبدو فيه تشنج ما احببته في القاهرة ، بدت لي طبقة المثقفين  
وكانها تقف سدا ما بين نوايا السلطة الطيبة فسي الثورة .. وروح  
الجماهير الرائعة ، لاحظت ذلك في المقاهي – التي تاوى اليها  
« الانتليجنسيا » وحتى في الاحياء القديمة حيث شعراء العامية ...  
وحزنت !

على ان شفيح الشعراء من امل دنقل الشرس فيما يكتب حتى  
عز الدين المناصرة هو بواد شاعرية رائعة ... كنت اود على كل حال  
الا ينتهي المقطع الاخير الرائع في القصيدة بما انتهى اليه كما قلت ،  
فيعد التهديد « للباب العالي » بثورة الفقراء التي قد تأتي عليه ونمرغ  
نياشينه ومجده بالتراب وبعد التبشير « بالبلاد الجديدة » يقول  
« فاني اتيك في داخلي نية للرحيل » فهل يخيف احدا تهديدنا  
بالرحيل ??

والقصيدة الرابعة هي « نساء سلام » لفاروق شوشة . وهذا  
الشاعر ليس بالجديد على قراء الآداب بشكل خاص ، وقد اعطى فسي  
السنين الاخيرتين قصائد جديدة تحمل اكثر سمات الشعر الجديد  
تخلص منها على الاقل – من مباشرته الشعر التقليدي وشعارياته ، اما  
هنا – في هذه القصيدة – فانه يبدو متلججا ، مرتبطا ، مأخوذا بحماس  
طيب ، لقد قتل القصيدة المتنازعة بين الشعارات الايديولوجية والملمح  
اللطيف ، الضائفة – كمضمون – بين الشعور الانساني التقدمي والحس  
القومي وحتى الحماس الديني ، وبودي – اخشى ان يزعجه رأيي بعد  
اعجابي بقصيدته الاخيرة في مجلة الهلال – لو انه جعل موضوع قصيدته  
هذه السياسية الانيقة ، نشرها يصف فيه الانطباعات عن رحلته الميمونة  
الى البلد الصديق العزيز .

الصفحة الشعرية الخامسة ، هي ( قصيدتان للشبيء المنسي )  
للدكتور وصفي صادق ، وليعذرني القراء لتشاؤمي من لقب دكتور في  
الشعر ، ومرة اخرى لا بد من استثناء خليل الحاوي . ومع ذلك فان  
القصيدة الاولى « جوايس خلف كواليس السماء » جيدة وجريئة ،  
واسلوبها جديد ، معاصر ، الا ان الفكرة منها مع خلاف فسي تناول  
ذكرتي بقصيدة للمفكر الفرنسي ( جويو ) فذاك ركب على جناح ملاك  
وارتفع ، وكلما اوغل في ارتفاعه صعدت رأسه اكثر تاوهات المعذبين  
والمضطهدين حتى انه رفض ملكوت السماء في ذروة ارتفاعه : وقال انني  
اكثر انسانية من تحمل كل هذا وركل مطيته فعاد الى الارض ، اما هذا  
فقد فتح نقبا رأى منه نفس الرؤيا فارتشم القلم بيده ... واعاده

.. وومض البرق في بطن الفيوم ... واشعل مساحات واسمة منها ... »

تميز هذه القصة بقدرة طيبة على الربط بين اطراف الموضوع. الا انها ترى الواقع من منطلقات « مثالية » . ولذلك فهي تقع ضمن المباشرة ، والانطلاق من عالم الفكر الى عالم الواقع وليس العكس . كما يفترض في القصص عادة كشرط اساسي لتجنب التجريد . ثم ان نظرة الكاتب الى الانتماء يجب ان تتم من خلال ادوات ومواقف اشد عمقا ، وافل سذاجة من تلك التي عرضها الكاتب . فهو يريدنا ان نفتنح بان مجرد تذكر الشخص الثالث في « الباص » لذكرى استشهد اخيه ، يكفي رفض الاعتماد على مركز الاعاشة . وهو يفلح في ذلك للوهلة الاولى . الا انه يمتد - لتحقيق هذا - على انطباع القارئ الناتج عن تعرفه على ابعاد المشكلة من خلال راكبي السيارة الاولى والثاني . ان القارئ بعد ان يطالع - اطروحة القصة من خلال ذكريات وتصورات الراكبين - لا بد ان يقتنع بان الموقف قد وصل الى لحظة « التفجير » عندما تكامل ذكريات وتصورات الشخص الثالث مع الاول والثاني . غير ان هذا الشخص الثالث لا علاقة مباشرة تربطه بالشخصين السابقين . وبالتالي فان رفضه لمركز الاعاشة يجب ان ينظر اليه انطلاقا من اطروحة النفسية المنفصلة التي يقدمها الكاتب عنه ، وليس من خلال تكامل صورته مع صورة الفلسطينيين الاخرين .

واخيرا ... فالقصة تشكو من المباشرة ، والتعميم ، وتحميل الكاتب افكاره للشخصيات .

- ٤ -

(رجل على الاكتاف) من اسوأ ما قرأت لعبدالرحمن مجيد الربيعي. فهي مشبعة بحصيله العيوب الفنية لقصصه السابقة مجتمعة من حيث كون النسيج القصصي لديه غير مستقر ، ومشعب بالتوتر اللفظي، والروح الخطائية ، والمباشرة . وكما سبق ان قلت عن قصص سابقة للربيعي (٢) فقد شمرت لدى مطالعني لهذه القصة « بانني أكاد اسمع ضجيج آلات الحياكة التي نسج بواسطتها نسيج القصة لديه » .

ثم ما هو الهدف من كتابة « رجل على الاكتاف » اصلا؟ .. واين هي اللقطة القصصية ذات البعد الانساني في هذه القصة ؟ .. وهل يكفي ان يكون بطلها فدائيا حتى تحوز على جواز المرور البديهي والاخلاقي .؟ .

( احب ان اذكر الاخ الربيعي ان كلمة « تسرى » ليست فعلا مضارعا ) .

- ٥ -

تحاول « قطعة سلاح يا رب » لاكرم شريم ان تقدم بشكل مباشر، وبهدف مفصوح منذ البداية ، صورة للكهل يدعى « ابو احمد » ، فيما هو يبحث عن قطعة سلاح بين جثث القصف الاسرائيلي للسلط . والقصة يلخصها « اكرم » كاملة في السطور الثمانية الاولى . واكثر من ذلك فان عنوان القصة يختزل بدوره هذه السطور دون ان يبقى للقارئ شيء يسعى لاكتشافه بنفسه . واخيرا ينهي الكاتب القصة بحكمة مفادها ان على « ابي احمد » - بعد ان عثر على رشاش محروق ، ورأى « بسداجة غريبة » ان النابالم ( تاكل حتى الرشاشات ) - ان يسرع في المرات القادمة : « فهذا الرشاش قد مات لان احدا لم يسرع في انقاذه » .

(٢) ... « اقنعة بلا وجوه » - مجلة « الطليعة » الدمشقية العدد ( ١٦٢ ) .

ولهم الحق ان يغفلوا بالطبع ، فبغير زعيق وجلبة لا يولد النور من الظلام ، والقصيدة هي ايضا صرخة ، نوع من تأكيد الذات ، من الزعيق في الشارع او على السطوح لفت الانتباه ... لكنه كما قلت - الزعيق الذي احبه مهما كان ، في الفن - انه بشير ونذير ولادة جبل ، ربما لم تكن الصرخة « بالذات هي هذا البشير » ... ربما كان في ختام القصيدة الجيدة شعريا ما يعني عن الحديث عنها :

« تبقى اصوات الموتى بين الجدران تدق على ابواب الغير صوتي مرآة للاعداد المختنفة .  
اما الكلمات المحترقة .  
الربيع القادم من خلف زجاج الاحلام الدبقة .  
عصر محموم داهمنا  
عطل فينا لفة ، الهمس ... وعرانا » .

... وبعد ، كان بودي - مرة اخرى - الا اورط نفسي في التصدي لكل هذه الرياح المقلبة من ديارنا الحبيبة ، ولكنني وعدت ، ولست بنادم على ما قلت على كل حال . بل انها لمنعة ان « يورط » الشاعر نفسه بين الحين والحين في اسلاط لسانه على الآخرين .

علي الجندي

دمشق

\*\*\*

## - تيمة - القصص

اللقطة القصصية المتكاملة الابعاد والتي ينتظمها خيط نفسي واحد . فالقصة اولا واخيرا اشبه شيء بطلقة مسدس .

وهذا يعني انها ينبغي ان تتحرك عبر محرك واحد لكي تحدث الاثر المطلوب . ان عليها ان تطلق من الخاص الى العام ، من الفكرة الى التصميم . ان رواية « يولييس » لنجوليس هي قصة قصيرة في جوهرها . وهي منفذة ضمن تصميم معتقد حاول « جوليس » ان يثبت فيه تفوق العقل على الآلة . الا اننا لا نرى التصميم ظاهرا ، وانما هو مضمّر ، علينا محاولة اكتشافه . ان على الكاتب الا يدع « التصميم » يمنح نفسه منذ المعاشرة الاولى .

- ٣ -

( الحكاية ) لنيروز مالك تشبه « النموذج » الى حد كبير . كما انها تسقط بدورها في احبولة التصميم نفسها . فهي تقدم - مسن خلال تخطيط هندسي مسبق وظاهر - صورة لثلاثة رجال فلسطينيين ينطلقون في سيارة باص متجهة الى مخيمات اللاجئين . ويريد الكاتب اعتبارهم « انماط » تصور الواقع الفلسطيني في شتى وجوهه : الرجل الاول يمتضغ ذكرياته عن فقدان الارض والتشتت والضياع وليس امامه غير مركز الاعاشة .

والثاني يستعرض حياة البؤس والفاقة بعد « الخروج » وليس امامه غير مركز الاعاشة . والثالث تمر في خياله صورة استشهد اخيه في « غزة » بعد ان نظر خارجا في الليل : « حيث المطر يسقط رذاذا على زجاج نافذة السيارة ، والبرق يومض في اعماق الفيوم ... فتلمع اطراف كتلها السود على داره المؤلفة من اربع غرف في بيسان ... واشجار الزيتون والبرتقال في الحقل القريب . » فيقرر رفض الذهاب الى مركز الاعاشة ويترجل من السيارة ثم يقف محذقا في الليل العال كاستبينسا طريقه : لقد تم الحلول اذن ، وها هو يقف وجهها لوجه امام الطبيعة : « وكان الجو ينثر بعاصفة رعديّة ، والارض تفوح منها رائحة المطر الذي توقف عن الهطول .. وجاء صوت الرعد من بعيد .. من اعماق اعماق السماء .. ثم انتشر فوق رأسه

هذه ليست قصة ... وانما هي صورة صحفية تعوزها القدرة على الاقتناع والتأثير .

- ٦ -

صدر حديثا :

## تحديث العقل العربي

للدكتور حسن صعب

دراسة علمية عن الثورة الحديثة الشاملة ،  
والتغييرات المنهجية اللازمة لتحقيق التقدم العربي ،  
ودعوة لاعطاء الاولوية لتحديث العقل العربي وتحويله  
من صناعة الكلمات الى صناعة الاشياء .

## المعجم الذهبي

فارسي - عربي

اضخم قاموس فارسي - عربي ظهر حتى الان ،  
تأليف الدكتور محمد التونجي

## المورد

قاموس انكليزي - عربي

طبعة نالثة تشتمل على اضافات كثيرة ولوحات ملونة

تأليف الاستاذ منير البعلبكي

## الناجحون

مجموعة كتب للفتيان والفتيات ، تعرض حياة  
نخبة من أبطال العالم في الشرق والغرب ، في الحرب  
والسلم ، رجالا ونساء ، قديما وحديثا .  
ظهر منها حتى الان : زنوبيا - خالد بن الوليد -  
نابليون بونابرت - بتهوفن - طارق بن زياد - هنيبعل -  
مدام كوري - كولومبوس - عبد الرحمن الداخل .

دار العلم للملايين

بيروت

« الزنبقة في ظل السقوط » للطفية الدليمي هي سرد عصابي غير  
متقن لمشاعر أم تواجه محنة فقدانها لابنتها في عملية جراحية بعد  
ان تخلى عنها زوجها وذهبت بصحبة رجل اخر ( لا يجب الاطفال ) .  
ثم تنتهي القصة بنجاح العملية والدعوة الى لم شمل الاسرة :  
« ابي طيب نعود اليه » . « نعود اليه يا حبيب » .

هذه القصة تفتقر الى خاصية الاقتناع . فهي مروية من خلال  
غلالة من الكلمات اللاهثة التي تزج بها في اسار رومانتيكية ساذجة  
تؤكد ان تجربة القصة « او عملية تمثيلها » مفتعلة . فكان الكاتبة  
تنظر الى صورة الاحداث بامتنان ، من خلال مسافة ، فتمجز عن  
تميز حدودها ومعالمها الخارجية والنفسية ( ETHOS )  
وبالنائي فهي تسقط في مناهة من التصميم والابهام . يقول الناقد  
« فرانز هبارد » في تعريف الجانب المرضي ( العصابي ) للرومانتيكية  
بانها : « فتنة المسافة » : CHARM OF DISTANCE (٣)  
اي ان من خصائصها المرضية النظر الى الواقع بافتتان ، من خلال  
مسافة تضيع ابعاده الحقيقية . وفي هذه القصة يتحقق هذا  
التعريف على افضل وجه . وبالنائي فالكاتبة توحي على الفور ، بعدم  
وضوح ما تريده من القصة . لا بل ان الهدف النهائي من كتابتها يظل  
بحاجة الى قدر عظيم من التبرير .

## ملاحظات عامة

- ١ - معظم انقصص المتناولة يدور حول « المقاومة » وكأنها ملكوت  
معزول عن نسيج الحياة .
- ٢ - لا تظهر القصص اية وشيجة تربط الثورة الفلسطينية  
بأرضيتها العربية . كما لا يجري أي تفاعل بين الطرفين . ( لو كان  
البطل فرنسيا او انكليزيا لما تغير في الامر شيء على الاطلاق ) .
- ٣ - على الرغم من ان القصص تدور حول موضوع اصبح واضح  
الابعاد ، فان الافتعال فيها ظاهر ، ولا تدل على امتلاك كاتبها للحد الادنى  
المطلوب من المعرفة بموضوعاتهم .
- ٤ - لا تعبر القصص لا عن نمو في الذاتية ولا عن ارتباط بالمجتمع ،  
وانما هي مجردة عن البعدين الذاتي والاجتماعي معا .
- ٥ - القيم تقدم جاهزة - بسداجة - ودون ( صراع ) يبرز انتصار  
قيمة وتثبيتها على القيم الاخرى .
- ٦ - كتاب القصص مولعون بالكتابة من اجل الكتابة نفسها . .  
دونما وجود هدف واضح ومحدد لهم من ممارسة هذه العملية المعقدة .
- ٧ - تمثل القصص نكوصا خطيرا عن الاشكال والمضامين التسي  
حقيقتها القصة العربية ، وتؤكد ان اصحابها ما زالوا يراوون على  
ارضية محاولاتهم الاولى .
- ٨ - الاشكال القصصية المستخدمة نابعة من روح ميلودرامية ونزعة  
تزيينية مسبقة ، وليس من الحاجة الماسة الى التعبير .

خلدون الشمعة

دمشق

(3) WRITERS OF THE western  
By FRANZ HIBBARD

world